مظاهر القدوة

في

سيرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله

د. عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مظاهر القدوة

في سيرة الإمام أبي حنيفة

رحمه اللّه

كتبه الدكتور

عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مظاهر القدوة في سيرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله

كتبه الدكتور: عبدالعزيز بن سعد الدغيثر

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين[1].

وإن من الأئمة الذي أجمع على إمامتهم المسلمون أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله، الذي كتب الله لفقهه الانتشار والقبول، في شبه القارة الهندية وبلاد البنغال وباكستان وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية وتركيا وبلاد البلقان إضافة إلى وجوده في البلاد المصرية والشامية والعراق وغيرها، فهو من أوسع المذاهب انتشارا.

إلا أن بعض من أعاه الله عن رؤية فضائل الأئمة، وما اتفقت على إمامته الأمة من بعض شباب هذا الجيل الذين جمعوا بين العقوق العلمي والفقر والمعرفي والخلق النبيل بدؤوا في بث ما في نفوسهم من كراهية، وحفر لكتب التراث للبحث عن كلام بعض العلماء في بعضهم الآخر، مما يطوى ولا يروى، وقد نالت سهامهم أبا حنيفة رحمه الله، ورحم الله من ذب عن عرض أخيه، فضلا عن عرض إمام من علماء المسلمين.

وقد وصل الإمام أبو حنيفة لنجاح بتحقيق العلم الواسع والقبول الحسن لدى الناس، حتى وصل لدرجة الإمامة في الدين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

١ هذه خطبة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد طبعت رسالته بتحقيق الشيخ صبري سلامة، وأشار إليها الإمام ابن تيمية رحمه الله، ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام "١٦/٣١٧".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن النجاح طموح سامٍ يتمناه كل إنسان، ولذا فإن الله تعالى وجه هذه الغريزة الإنسانية والفطرة البشرية لأن تكون ضمن إطارها الصحيح. وتجد ذلك جليا في دعاء عباد الرحمن الذين نالوا رضاه تعالى ومن ثم النعيم الدائم في جنان الخلد، ومن دعائهم:" واجعلنا للمتقين إماما".

وإمامة المتقين لا تكون إلا لمن نال قدرا كبيرا من التقوى والعلم، ولكن العلم لا يستطاع براحة الجسد، بل لا بد من بذل الجهد العظيم والوقت الكثير لتحصيل شيء من العلم، وحتى يكون المسلم الذي علت همته لأن يكون إماما للمتقين مستمرا في طلبه للعلم صابرا على مشاقه فإنه يجد من الفضائل والأجور المترتبة على طلبه للعلم ما يعينه على نفسه في مفارقة الخلان ولهوهم والأصحاب وعبثهم، فمن فضائل طلب العلم الشرعي:

١- أن العلم بالوحيين من إرادة الله الخير للعبد كما في قوله تعالى: يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" (البقرة: ٢٦٩)، وكما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[٢]، وقوله:" في الدين" يدل على أن المقصود علم الكتاب والسنة وعلوم الآلة لفهمهما وما أحسن ما أثر عن الإمام أحمد[٣] من قوله:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار

لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار[٤]

٢- أن العلم بالشرع طريق إلى الجنة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن

٢أخرجه البخاري (فتح ٦/١٥٢) ومسلم (١٠٣٧) من حديث حديث معاوية رضي الله عنه.

٣ هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البكري الوائلي (١٦٤هـ - ٢٤١هـ) ، إمام أهل السنة وفقيه المحدثين ، له من الآثار المسند والزهد والورع والرد على الجهمية ، كما أن له فتاوى مبثوثة في مسائل طلابه كمسائل ابنه صالح ومسائل ابنه عبدالله وغيرهما. سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧.

٤ ونسبها الخطيب إلى عبده الأصبهاني ، تهذيب شرف أصحاب الحديث / ٨٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[٥]. وسبب ذلك أنه يدل صاحبه إلى خشية الله تعالى، قال تعالى:" إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر: ٢٨).

٣- وفي الحديث السابق تواضع الملائكة لطالب العلم الشرعي وكون العالم بالشريعة وريث النبوة وفضيلته على العابد لأن نفعه متعدي والعبادة القاصرة لا تصل في الثواب إلى مرتبة العبادة المتعدية.

٤- وفيه أن جميع من في الكون يحب علماء الشرع ويستغفر لهم ولو تأمل العالم هذه الفضيلة لهان عنده كل مكروه يواجهه في طريق العلم.

٥- أن طالب العلم الشرعي بمنزلة المجاهد في سبيل الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله"[٦]. وقد أمر الله في القرآن الكريم أن ينبري من عباده المجاهدين فرقة للتفقه في الدين، قال تعالى:" وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون" (التوبة: ١٢٢).

٦- أن من العلم الشرعي ما هو فرض على كل مسلم، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٧].

٧- أن من جلس مع إخوانه لتعلم العلم الشرعي نال أربع جوائز مذكورة في الحديث المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده "[٨].

٨- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لناشر السنة، فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"[٩].

٥رواه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٣) وغيرهم من حديث حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وحسنه الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول ٦/٨.

٦رواه ابن ماجه (٢٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول ٧/٨.

٧ رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣) وصحيح الجامع (٣٨٠٨).

٨ رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٩أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) وأبو داود (٣٦٦٠) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وصححه الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول ١٨/٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٩- أن العلوم الدينية مخصوصة بالأمر بتبليغها من بين العلوم وتحريم كتمانها، قال تعالى:" إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولائك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" (البقرة: ١٦٠)، وقال صلى الله عليه وسلم:" من سئل علما علمه فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار" [١٠]، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" بلغوا عني ولو آية"[١١].

١٠- أن الله استشهد بأولى العلم الشرعي على أجلّ مشهود وهو التوحيد فقال سبحانه:" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط" (آل عمران: ١٨) مما يدل على تزكيتهم وتعديلهم.

١١- أن الله تعالى رفع قدر العلماء كما في قوله جل وعلا:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة: ١١)، وقال سبحانه:" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر: ٩).

١٢- أن فقد علماء الشريعة ضلال للأمة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لن يبقِ عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[١٢].

١٣- أن أثر علمهم يجري عليهم الأجر إلى يوم القيامة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[١٣]. بل إن طلاب العلم وغيرهم يدعون للعلماء عند ذكرهم ويترحمون عليهم أكثر من أولادهم الذين هم من أصلابهم. وسبب جريان أعمال العلماء إلى يوم القيامة أن "الدال على الخير له مثل أجر فاعله" كما في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٤].

---

١٠ رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٣٥) وصحيح ابن ماجه (٢١٠) وصحيح الجامع (٦١٦٠).

١١رواه البخاري (فتح ٣٦١/٦) عن ابن عمرو رضي الله عنه.

١٢رواه رواه البخاري (فتح ١٧٤/١) ومسلم (١٦٧٣) عن ابن عمرو رضي الله عنه .

١٣ رواه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٤ رواه مسلم (١٨٩٣ وغيره من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أهم ما يعين طالب العلم في مسيرته قراءة سيرة الناجحين من السابقين له في هذا الطريق، ويسميه بعض علماء الإدارة "النمذجة"، بأن تدرس عوامل النجاح للشخصية المقصودة ومن ثم الاحتذاء بها ووضعها أنموذجا، وهو قريب من مفهوم القدوة.

وحيث أن أصحاب المذاهب المتبوعة قد وصلوا إلى درجة عليا من الإمامة في الدين، فقد بدأت بأولهم زمنا وأكثرهم أتباعا وهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى.

وحيث أن مقصودي الأكبر هو دراسة عوامل النجاح في شخصيته، وسر الجاذبية التي جعلت ممن درس عليه يتفانى في نشر علمه واختياراته، فإنه ليس من المناسب ذكر جميع سيرته وما قيل عنه، لأن ذلك ليس من مقصود البحث.

المعلومات الشخصية:

وبادئ ذي بدء لا بد من معرفة شيء من المعلومات الشخصية عن أبي حنيفة، من اسمه ومولده ونسبه وكنيته وأولاده ومهنته.

اسمه:

النعمان بن ثابت بن زوطى (وبعضهم يكتبها زوطا) التيمي الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبه من بكر بن وائل. وقال بعضهم: المرزبان بدلا من زوطي.

تاريخ ولادته:

ولد ألو حنيفة رحمه الله سنة ٨٠ هـ.

نسبه:

يقال إنه من أبناء الفرس. وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة أما زوطي فإنه من أهل كابل وولد ثابت عن الإسلام وكان زوطي مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبه فأعتق فولاؤه لهم. وقال النضر بن محمد المروزي عن يحيى بن النضر قال كان والد أبي حنيفة من نسا. وروى سليمان بن الربيع عن الحارث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بن إدريس قال أبو حنيفة أصله من ترمذ.وقال أبو عبد الرحمن المقري أبو حنيفة من أهل بابل وروى أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عن أبيه عن جده قال ثابت والد أبي حنيفة من أهل الأنبار.

وذكر الذهبي من طريق إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان أنه قال: من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رق قط ولد جدي في سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك لعلي رضي الله عنه فينا. قال والنعمان بن المرزبان والد ثابت هو الذي أهدى لعلي الفالوذج في يوم النيروز فقال علي نورزونا كل يوم وقيل كان ذلك في المهرجان فقال مهرجونا كل يوم. يعني أن عيد النيروز والمهرجان ليس من شريعتنا وفرحنا غير مرتبط به، بل هو في كل يوم.

وعليه فيكون اسمه هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان. إلا أن هذه الرواية لا يوثق بها لمخالفتها الروايات الكثيرة ولأن إسماعيل بن حماد لا تقبل روايته.

كنيته:

اشتهر بأبي حنيفة، ولا أعلم سبب هذه الكنية.

أولاده:

أشهرهم ابنه حماد، قال الذهبي عنه: الفقيه حماد بن أبي حنيفة كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام لما توفي والده كان عنده ودائع كثيرة وأهلها غائبون فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها فقال بل دعها عندك فإنك أهل فقال زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة الوالد ثم افعل ما ترى ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها وحسابها أياما واستتر حماد فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين.

توفي حماد سنة ست وسبعين ومئة كهلا له رواية عن أبيه وغيره حدث عنه ولده الإمام إسماعيل بن حماد قاضي البصرة[١٥].

١٥سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٠-٤٠٣ وهو مرجع رئيسي في هذا المبحث، وما زاد عنه ذكرت مصدره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مهنته:

كان أبو حنيفة رحمه الله خزازا يبيع الخز والأقمشة.

فضله:

يعتبر أبو حنيفة من صغار التابعين الذين يشملهم حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم"[١٦]، وما رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي" قال الحاكم: هذا حديث قد روي بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه مما علونا في أسانيد منها وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه[١٧]. وفي المختارة عن عبد الله بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني طوبى لهم وحسن مآب[١٨].ورواه الطبراني في الكبير عن علقمة بن وائل عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني ومن رأى من رآني ثلاثا[١٩]. وروى في الصغير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم طوبى لمن رآني ومن آمن بي ومن رأى من رآني[٢٠].

وقد ذكر الذهبي وغيره أنه رأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ولم يثبت له حرف عن أحد منهم. رأى أنس بن مالك غير مرة لما قدم عليهم الكوفة رواه بن سعد عن سيف بن جابر أنه سمع أبا حنيفة يقوله[٢١].

وقد نظم بعضهم من لقي من الصحابة فقال

١٦رواه البخاري (٢٥٠٩) ومسلم (٢٥٣٣) وبنحوه عن عمران بن الحصين رضي الله عنه في البخاري (٢٥٠٨).

١٧المستدرك ٤/٩٦ /٦٩٩٤.

١٨الأحاديث المختارة ٩/٩٩/٨٧ وفيه بقية وأحاديثه غير نقية.

١٩رواه الطبراني في الكبير ٢٢/٢٠٢٩.

٢٠المعجم الصغير (الروض الداني) ٢/١٠٤٨٥٨.

٢١تذكرة الحفاظ ١/١٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقي الإمام أبو حنيفة ستة من صحب طه المصطفى المختار
أنسا وعبد الله نجل أنيسهم وسميه ابن الحارث الكرار
وزاد ابن أوفى وابن واثلة الرضى واضمم إليهم معقل بن يسار

ولكن لم تثبت له رواية عن أحد منهم[٢٢].

شيوخه في الرواية والحديث:

روى عن عطاء بن أبي رباح وهو أكبر شيخ له وأفضلهم على ما قال وعن الشعبي وعن جبلة بن سحيم وعدي بن ثابت وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعمرو بن دينار وأبي سفيان طلحة بن نافع ونافع مولى ابن عمر وقتادة وقيس بن مسلم وعون بن عبد الله بن عتبة والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ومحارب بن دثار وعبد الله بن دينار والحكم بن عتيبة وعلقمة بن مرثد وعلي بن الأقمر وعبد العزيز بن رفيع وعطية العوفي وحماد بن أبي سليمان وبه تفقه وزياد ابن علاقة وسلمة بن كهيل وعاصم بن كليب وسماك بن حرب وعاصم ابن بهدلة وسعيد بن مسروق وعبد الملك بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن شهاب الزهري ومحمد بن المنكدر وأبي إسحاق السبيعي ومنصور ابن المعتمر ومسلم البطين ويزيد بن صهيب الفقير وأبي الزبير وأبي حصين الأسدي وعطاء بن السائب وناصح المحملي وهشام بن عروة وخلق سواهم

ولم يكن يستنكف من الرواية عن من هو دونه في السن حتى إنه روى عن شيبان النحوي وهو أصغر منه وعن مالك ابن أنس وهو كذلك.

وروى عن آخرين ولم يثبت أنه لقيهم وهم: فقد روى عن طاووس ولم يصح وعكرمة وفي لقيه له نظر

وعني بطلب الآثار وارتحل في ذلك.

٢٢ شذرات الذهب ١/٢٢٧ – ٢٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيوخه في الفقه:

لا شك أنه استفاد من شيوخه في الرواية والحديث ولكن الذي بنى ملكته الفقهية هو حماد بن أبي سليمان، لدرجة أن الذهبي قال عن حماد: وبه تفقه، مما يدل على أنه لازمه ملازمة كبيرة بحيث عرف به. وسبب الملازمة الطويلة لحماد قصة ذكرها من ترجم له، فقد رووا عن أبي حنيفة أنه قال: قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت علي نفسي ألا أفارق حمادا حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة.

منزلة روايته للحديث عند علماء الجرح والتعديل:

الثناء على أبي حنيفة في فقهه وتدينه وورعه وصدقه مبثوث في كتب الجرح والتعديل، قال محمد بن سعد العوفي سمعت يحيى بن معين يقول كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ.

وقال صالح بن محمد سمعت يحيى بن معين يقول كان أبو حنيفة ثقة في الحديث وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين كان أبو حنيفة لا بأس به وقال مرة هو عندنا من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيا.

وذكره ابن حبان في معرفة الثقات[٢٣].

إلا أنه لا بد من التنبيه إلى أن أبا حنيفة لم يكن من المتخصصين في رواية الحديث مع جلالته، ولذا طعن عليه جمع من أهل الحديث لوجود الخطأ في رواياته. فقد روى ابن الجوزي في المنتظم من طريق أحمد بن سعيد بن أبي مريم قال سألت يحيى بن معين عن أبي حنيفة قال لا تكتب حديثه.وقال عبدالله بن علي بن عبدالله المديني قال سألت عن أبي حنيفة فضعفه جدا وقال روى خمسين حديثا أخطأ فيها.وقال أبو حفص عمرو بن علي قال أبو حنيفة ليس بالحافظ مضطرب الحديث واهي

٢٣معرفة الثقات ٢/٣١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحديث وقال أبو بكر ابن أبي داود جميع ما روى أبو حنيفة من الحديث مائة وخمسون حديثا أخطأ أو قال غلط في نصفها[٢٤].

وقال ابن أبي حاتم: روى عنه هشيم وعباد بن العوام وابن المبارك ووكيع وعبد الرزاق وأبو نعيم ثم تركه بن المبارك بأخرة سمعت أبي يقول ذلك نا عبد الرحمن حدثني أبي قال سمعت محمد بن كثير العبدي يقول كنت عند سفيان الثوري فذكر حديثا فقال رجل حدثني فلان بغير هذا فقال من هو قال أبو حنيفة قال احلتنى على غير ملى ء

نا عبدان بن عثمان قال سمعت بن المبارك يقول كان أبو حنيفة مسكينا في الحديث[٢٥].

وفي الكنى: أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب الرأي مضطرب الحديث ليس له كبير حديث صحيح[٢٦].

وقد ذكر صاحب تهذيب الكمال أنه روى له الترمذي في كتاب العلل من جامعه قوله ما رأيت أحداً أكذب من جابر الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح.

وروى له النسائي حديث أبي رزين عن ابن عباس قال: "ليس على من أتى بهيمة حد".

وهذا يدل على قلة مروياته للحديث، أن الفقه في النصوص هو شغله الشاغل، وفي كل خير.

منزلته في الفقه:

قال الذهبي: وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك. قال ضرار بن صرد سئل يزيد بن هارون أيما أفقه الثوري أو أبو حنيفة فقال أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث[٢٧]. وفي ترجمته من تهذيب الكمال عن روح بن عبادة قال: كنت عند بن جريج

---

٢٤ ترجمته في المنتظم ١٢٨/٨ – ١٤٤.

٢٥الجرح والتعديل ٤٤٩/٨ – رقم ٢٠٦٢.

٢٦الكنى والأسماء١/ ٢٧٦- رقم ٩٦٣.

٢٧تذكرة الحفاظ ١٦٩/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سنة خمسين يعني ومئة وأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وتوجع وقال: أي علم ذهب؟ قال: ومات فيها ابن جريج.

تلاميذه:

للإمام أبي حنيفة طلاب ملازمون، أخذوا عنه الفقه وطريقة الاستنباط، كما أن له طلابا أخذوا عنه الرواية، فممن تفقه عليه زفر بن الهذيل وداود الطائي والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن واسد بن عمرو والحسن بن زياد اللؤلؤي ونوح الجامع وأبو مطيع البلخي[٢٨].

إبراهيم بن طهمان عالم خراسان وأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري وأسباط بن محمد وإسحاق الأزرق وأسد بن عمرو البجلي وإسماعيل بن يحيى الصيرفي وأيوب بن هانى ء والجارود بن يزيد النيسابوري وجعفر بن عون والحارث بن نبهان وحيان بن علي العنزي والحسن بن زياد اللؤلؤي والحسن بن فرات القزاز والحسين بن الحسن ابن عطيه العوفي وحفص بن عبد الرحمن القاضي وحكام بن سلم وأبو مطيع الحكم بن عبد الله وابنه حماد بن أبي حنيفة وحمزة الزيات وهو من أقرانه وخارجة بن مصعب وداود الطائي وزفر بن الهذيل التميمي الفقيه وزيد بن الحباب وسابق الرقي وسعد بن الصلت القاضي وسعيد بن أبي الجهم القابوسي وسعيد بن سلام العطار وسلم بن سالم البلخي وسليمان ابن عمرو النخعي وسهل بن مزاحم وشعيب بن إسحاق والصباح بن محارب والصلت بن الحجاج وأبو عاصم النبيل وعامر بن الفرات وعائذ ابن حبيب وعباد بن العوام وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن يزيد المقرى ء وأبو يحيى عبد الحميد الحماني وعبد الرزاق وعبد العزيز بن خالد ترمذي وعبد الكريم بن محمد الجرجاني وعبد المجيد بن أبي رواد وعبد الوارث التنوري وعبيد الله بن الزبير القرشي وعبيد الله بن عمرو الرقي وعبيد الله بن موسى وعتاب بن محمد وعلي بن ظبيان القاضي وعلي بن عاصم وعلي بن مسهر القاضي وعمرو بن محمد العنقزي وأبو قطن عمرو بن الهيثم وعيسى بن يونس وأبو نعيم والفضل بن موسى والقاسم بن الحكم العرني والقاسم بن معن وقيس بن الربيع ومحمد بن أبان العنبري كوفي ومحمد بن بشر ومحمد بن الحسن بن أتش ومحمد ابن الحسن الشيباني ومحمد بن خالد الوهبي ومحمد بن عبد الله الأنصاري ومحمد بن الفضل بن عطية ومحمد بن القاسم الأسدي ومحمد بن مسروق الكوفي ومحمد بن يزيد الواسطي ومروان بن سالم

٢٨تذكرة الحفاظ ١/١٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومصعب بن المقدام والمعافى بن عمران ومكي بن إبراهيم ونصر بن عبد الكريم البلخي الصيقل ونصر بن عبد الملك العتكي وأبو غالب النضر بن عبد الله الأزدي والنضر بن محمد المروزي والنعمان بن عبد السلام الأصبهاني ونوح بن دراج القاضي ونوح بن أبي مريم الجامع وهشيم وهوذة وهياج بن بسطام ووكيع ويحي بن أيوب المصري ويحي بن نصر بن حاجب ويحي بن يمان ويزيد بن زريع ويزيد بن هارون ويونس بن بكير وأبو إسحاق الفزاري وأبو حمزة السكري وأبو سعد الصاغاني وأبو شهاب الحناط وأبو مقاتل السمرقندي والقاضي أبو يوسف.

مكانته في نظر معاصريه:

ولأبي حنيفة رحمه الله تأثير كبير في طلابه، ونجد ذلك منثورا في طيات كلامهم عنه، فنجد عبد الله بن المبارك يقول لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس. وعنه قال: ما رأيت رجلا أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتا وحلما من أبي حنيفة. وقال أيضا كما في تهذيب الكمال: أفقه الناس أبو حنيفة ثم قال: ما رأيت في الفقه مثله. ومدحه ابن المبارك فقال:

رأيت أبا حنيفة كل يوم ... يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه ... إذا ما قال أهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب ... فمن ذا تجعلون له نظيرا
كفانا فقد حماد وكانت ... مصيبتنا به أمراً كبيرا
فرد شماتة الأعداء عنا ... وأبدى بعده علماً كثيراً
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى ... ويطلب علمه بحراً غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعها ... رجال العلم كان بها بصيرا

وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة صاحب غوص في المسائل.

وقال في الشافعي رأيت رجلا لو كلمك في هذا السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته. وقال عبدالله بن داود الحربي ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظه الفقه والسنة عليهم وقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سفيان الثوري وابن المبارك كان أبو حنيفة أفقه أهل الارض في زمانه وقال أبو نعيم كان صاحب غوص في المسائل وقال مكي بن إبراهيم كان أعلم أهل الارض[٢٩].

ولما انتقد بعض المثبطين القاسم بن معن في جلوسه مع صغار الطلبة بين يدي أبي حنيفة، وبطريقة استفزازية، نجد الرد المليء بالحب والإعجاب بهذا العالم المربي، فقد قيل للقاسم بن معن ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة قال ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة وقال له القاسم تعال معي إليه فلما جاء إليه لزمه وقال ما رأيت مثل هذا.

وقال مكي بن إبراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت في الكوفيين أورع منه[٣٠].

وقيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وعن أبي يوسف قال كان أبو حنيفة ربعة من أحسن الناس صورة وأبلغهم نطقا وأعذبهم نغمة وأبينهم عما في نفسه.

وروى حيان بن موسى المروزي قال سئل ابن المبارك مالك أفقه أو أبو حنيفة قال أبو حنيفة.

وقال الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة[٣١].

وروى الخطيب عن عبد الله بن المبارك قال قدمت الشام على الأوزاعي فرأيته ببيروت فقال: لي يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها قال النعمان فما زال قائماً بعد ما أذن حتى قرأ صدراً من الكتاب ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها فقال: لي يا خراساني من النعمان

٢٩البداية والنهاية- حوادث سنة ١٥٠هـ.

٣٠طبقات الحفاظ ٨٠.

٣١طبقات الحفاظ ٨٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بن ثابت هذا قلت: شيخ لقيته بالعراق فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه.

قال الذهبي بعد نقله لثناء بعض من عرفه: قلت الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام وهذا أمر لا شك فيه

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

محفزات للاستمرار:

من توفيق الله تعالى أن تهيأت له أسباب لطلب العلم والاستمرار فيه، فمن تلك الأسباب:

- فقد وفقه الله تعالى للتعلم على يد حماد الفقيه وملازمته السنوات الطوال.
- ومن ذلك استغناؤه بالتجارة عن الحاجة للولاة ومنتهم، قال الذهبي عنه: كان لا يقبل جوائز السلطان بل يتجر ويتكسب[٣٢]. وفي شذرات الذهب: وكان لا يقبل جوائز الدولة بل ينفق ويؤثر من كسبه له دار كبيرة لعمل الخز وعنده صناع وأجراء رحمه الله تعالى[٣٣]. وهذا يدل على أنه لم تشغله التجارة عن العلم، بل يشرف على عملهم ويستعين بالثقات في إدارة تجارته.
- ومنه ما منحه الله من ذكاء فطري، وقدرة على الحوار والإقناع. وله في ذلك أعاجيب من سرعة البديهة، وحسن الجواب، فمن ذلك أن علي بن عاصم قال: دخلتُ على أبي حنيفة وعنده حَجّام يأخذ من شَعره، فقلت للحجام تتَبَّع مواضع البياض، لا تَزِد، قال: ولِمَ لا؟ قال: لأنه يكثر، قال: فتتبع مواضع السواد لعله يكثر، فحكيتُ لشريكٍ هذه الحكاية فضحك وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسَه لتركه مع الحجام[٣٤]، "وحكى الحسن بن زياد قال: دفن رجل مالاً في موضع، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة: ما هذا فقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة، ففعل الرجل، ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء

٣٢تذكرة الحفاظ ١/١٦٩.

٣٣شذرات الذهب ١/٢٢٧ – ٢٢٩.

٣٤الوافي بالوفيات للصفدي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال له: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله عزوجل[٣٥].

● وفي الرؤى مبشرات للمؤمنين، فقد جاء عنه أنه قال: رأيت رؤيا أفزعتني رأيت كأني أنبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت البصرة فأمرت رجلا يسأل محمد بن سيرين فسأله فقال هذا رجل ينبش أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مظاهر القدوة في شخصية أبي حنيفة:

● احترامه وتقديره لمن علمه الفقه، فقد ورد عن أبن سماعة، أنه قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما صليت صلاة مُذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً، أو علمته علما.

● وقد كان الحب متبادلا بين الشيخ والتلميذ فقد ورد عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمانأنه قال: غاب أبي غيبة في سفر له، ثم قدم، فقلت له: يا أبة، إلى أي شيء كنت أشوق؟ قال: وأنا أرى أنه يقول: إلى ابني.

فقال: إلى أبي حنيفة، ولو أمكنني أن لا أرفع طرفي عنه فعلت[٣٦].

● ومن السمات المميزة لأبي حنيفة سخاؤه في إنفاقه على الطلاب والمحتاجين وحسن تعامله معهم، وتعاهدهم مما غرس محبته في قلوبهم حتى نشروا أقواله وفقهه، ولك أن تتخيل ملايين الدعوات له بالرحمة عند ذكره في دروس العلم في كل أرض. نسأل الله من فضله، ونسأل الله لإمامنا أن يتغمده بواسع رحمته، ومن عجائب ما ورد عنه أنه كان يبعث بالبضائع إلى بغداد، يشتري بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم، وكسوتهم، وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله؛ فإني ما أعطيتكم من مالي شيئا، ولكن من فضل الله عليَّ فيكم، وهذه أرباح بضاعتكم؛ فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حول لغيره.وحدث

٣٥وفيات الأعيان لابن خلكان.

٣٦الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حجر بن عبد الجبار، قال: ما أرى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة، ولا أكثر إكراماً لأصحابه. وقال حفص بن حمزة القرشي: كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله، وإن مرض عاده[٣٧].

- حرصه على أن هيبة العلم في مجالسه، فقد ورد عن شريك قال كان أبو حنيفة طويل الصمت كثير العقل
- الاهتمام بالمظهر والهيئة، بما يضفي عليه المهابة، فقد جاء عن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: كان أبي جميلا تعلوه سمرة حسن الهيئة كثير التعطر هيوبا لا يتكلم إلا جوابا ولا يخوض رحمه الله فيما لا يعنيه. وعن ابن المبارك قال ما رأيت رجلا أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتا وحلما من أبي حنيفة.
- بل كان لا يرضى لطلابه أن يهينوا العمل بلبس ما لا يليق، فقد ورد عن النضر بن محمد أنه قال كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطر الريح أتيته في حاجة وعلي كساء قرمسي فأمر بإسراج بغله وقال أعطني كساءك وخذ كسائي ففعلت فلما رجع قال يا نضر خجلتني بكسائك هو غليظ قال وكنت أخذته بخمسة دنانير ثم إني رأيته وعليه كساء قومته ثلاثين دينارا.
- كثرة عبادته وتنسكه رحمه الله، فقد قال أبو عاصم النبيل كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته. واشتهر عنه أنه كان يحي الليل صلاة ودعاء وتضرعا[٣٨].
- خوفه من الله تعالى، فقد روى لنا القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (القمر ٤٦ ويبكي ويتضرع إلى الفجر.
- ومن مظاهر القدوة شدة ورعة، وخصوصا في الأمور المالية، فقد جاء عنه أنه كان شريكاً لحفص بن عبد الرحمن، وكان أبو حنيفة يُجهز إليه الأمتعة، وهو يبيع، فبعث إليه في رقعة بمتاع، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً، فإذا بعته، فبين. فباع حفص المتاع، ونسى أن يبين، ولم يعلم ممن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله[٣٩].
- تربيته لنفسه على الفضائل كالصدقة، فقد ورد عن المثنى بن رجاء أنه قال جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقا أن يتصدق بدينار وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها.

٣٧الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٣٨طبقات الحفاظ ٨٠.

٣٩الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وله رحمه الله حلم عجيب مع العوام، لأن من تصدى للناس لا بد وأن يأتيه بعض الأذى من جاهل أو مغرر به، ومن عجيب قصصه ما حكاه الخريبي قال: كنا عند أبي حنيفة فقال رجل إني وضعت كتابا على خطك إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم فقال أبو حنيفة إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه. وقد شهد بحلمه من رآه، قال يزيد بن هارون ما رأيت أحدا أحلم من أبي حنيفة. ومن أعجب ما ذكر من حلمه قصته مع من هجاه، فقد قال مساور الوراق:

كنا من الدين قبل اليوم في سعة ... حتى ابتلينا بأصحاب المقاييس

قاموا من السوق إذ قلت مكاسبهم ... فاستعملوا الرأي عند الفقر والبؤس

أما العريب فأمسوا لا عطاء لهم ... وفي الموالي علامات المغاليس

فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا نحن نرضيك فبعث إليه بدراهم فقال:

إذا ما الناسُ يوماً قايسونا ... من الفُتيا بآبدة طريفه

أتيناهمِ بِمقياسٍ صحيحٍ ... تِلادٍ من طِراز أبي حنيفَه

إذا سَمِعَ الفقيه بها وعاها ... وأثبتَها بخيرٍ في صَحيفَه

فأجابه بعض أصحاب الحديث:

إذا ذو الرأي خاصَمَ في قياس ... وجاءَ بِبدعَةٍ هَنَةٍ سخيفه

أتيناهم بقول الله فيها ... وآثارٍ مبرَّزة شريفه

فكَمِ مِن فَرجِ مُحصِنَةٍ عفيفٍ ... أُحِلّ حَرامه بأبي حنيفه

وقول هذا القائل غير مضي، لأن أبا حنيفة رحمه الله له أدلته، ولا يمكن أن يقال إنه أحل فروج المحصنات، فقوله غلو لا مبرر له.

● وكان ينظر بإيجابية إلى المواقف التي ظاهرها السوء، فقد قال رجل لأبي حنيفة اتق الله فانتفض واصفر وأطرق وقال جزاك الله خيرا ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ومن مظاهر القدوة سعيه في مصالح الناس، وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري:

وفي تاريخ بغداد ووفيات الأعيان أن أبا حنيفة كان له جار اسكافي يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه أنشد يغني ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت، حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع يسمع جلبته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه فقيل له: أخذه العسس منذ ليال، فصلى أبو حنيفة الفجر من غده، ثم ركب بغلته وأتى دار الأمير، فاستأذن عليه فقال: ائذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل به ذلك، فوسع له الأمير من مجلسه، وقال له: ما حاجتك؟ فشفع في جاره. فقال الأمير طلقوه وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا فأطلقوهم أيضاً فذهبوا فركب أبو حنيفة بغلته، خرج والإسكافي معه يمشي وراءه، فقال له أبو حنيفة: يا فتى هل أضعناك؟ فقال: بل حفظت ورعيت، فجزاك الله خيراً عن حرمة الجوار. ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل.

وروى أن امرأة جاءت إلى أبي حنيفة تطلب منه ثوب خز، فأخرج لها ثوباً. فقالت له: إني امرأة ضعيفة، وإنها أمانة فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك.

فقال: خُذيه بأربعة دراهم.

فقالت: لا تسخر بي، وأنا امرأة عجوز كبيرة.

فقال: إني اشتريت ثوبين، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم، فبقي هذا يقوم عليَّ بأربعة دراهم[٤٠].وجاء إليه رجل، فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجت إلى ثوب خز. فقال: ما لونه؟ قال: كذا، وكذا. فقال له: اصبر حتى يقع، وآخذه لك، إن شاء الله تعالى.

٤٠الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فما دارت الجمعة حتى وقع، فمر به الرجل، فقال: قد وقعت حاجتك، وأخرج إليه الثوب، فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة، كم أزن؟ قال: درهماً.

فقال الرجل: يا أبا حنيفة ما كنت أظنك تهزأ.

قال: ما هزأت، إني اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم، وإني بعت أحدهما بعشرين ديناراً، وبقي هذا بدرهم، وما كنت لأربح على صديق[41].

- الجدية والاستمرار وتحديد الهدف، فقد وضع نصب عينيه أن ينفع الأمة في الفقه والاستنباط، وأن يصنع رجالا قادرين على حمل تلك الملكة.
- وترك الخوض في الناس وعن ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري، يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، وما سمعته يغتاب عدوا له قط.
- قال: هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها[42]. بل بلغ في طهارة قلبه على المسلمين شيئا عجيبا، ففي تاريخ بغداد عن سهل بن مزاحم قال سمعت أبا حنيفة يقول: "فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" قال: كان أبو حنيفة يكثر من قول اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له.
- ومن أعظم مظاهر القدوة في شخصيته حرصه على بناء شخصيات فقهية تحمل عنه علمه، وقد نجح أيما نجاح. ومن طريف قصصه مع تلاميذه التي تبين لنا حرصه على تربيتهم على التواضع في التعلم وعدم العجلة ما رواه ابن الجوزي في المنتظم من طريق الفضيل بن غانم قال كان أبو يوسف مريضا شديد المرض فعاده أبو حنيفة مرارا فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع وقال كنت أؤملك للمسلمين بعدي ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير ثم رزق الله أبا يوسف العافية وأخبر بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلسا في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلسا وأنه بلغه كلامك فيه فدعا رجلا كان له عنده قدر فقال صر إلى مجلس يعقوب فقل له ما تقول في رجل دفع إلى

---

٤١ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٤٢ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصار ثوبا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار مالك عندي شيء وأنكره ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصورا أله أجرة فإن قال له أجرة فقل أخطأت وإن قال لا أجرة له فقل أخطأت فصار إليه فسأله فقال أبو يوسف له الأجرة فقال أخطأت فنظر ساعة ثم قال لا أجرة له فقال أخطأت فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال له ما جاء بك إلا مسألة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلسا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات فقال يا أبا حنيفة علمني فقال إن قصره بعد غصبه فلا أجرة له لأنه قصره لنفسه وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة لأنه قصره لصاحبه ثم قال من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه.

وفي شذرات الذهب: وقد قال في الإشباه والنظائر لما جلس أبو يوسف رحمه الله للتدريس من غير اعلام أبي حنيفة أرسل إليه أبو حنيفة رجلا فسأله عن خمس مسائل الأولى قصار جحد الثوب وجاءه به مقصورا أهل يستحق الأجر أم لا فأجاب أبو يوسف يستحق الأجر فقال له الرجل أخطأت فقال لا يستحق فقال أخطأت ثم قال له الرجل أن كانت القصارة قبل الجحود استحق وإلا فلا الثانية هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة فقال بالفرض فقال أخطأت فقال بالسنة فقال أخطأت فتحير أبو يوسف فقال الرجل بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة الثالثة طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان أم لا فقال أبو يوسف يؤكلان فخطأه فقال لا يؤكلان فخطأه ثم قال إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا ويؤكل وترمي المرقة وإلا يرمي الكل الرابعة مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر فقال في مقابر المسلمين فخطأه فقال أبو يوسف في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير فقال في مقابر اليهود اي لأنهم يوجهون قبورهم إلى القبلة ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن نكون وجهه إلى ظهر أمه الخامسة أم ولد لرجل تزوجت بغير اذن مولاها هل تجب العدة من المولى فقال تجب فخطأه ثم قال الرجل ان كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة فقال تزببت قبل أن تحصرم كذا في إجارات الفيض انتهى كلام الأشباه والله أعلم وبه التوفيق[٤٣].

٤٣ شذرات الذهب ١/٢٢٧ – ٢٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كان التعليم بالحوار سمة بارزة لأبي حنيفة، وبه يقنع الخصوم والمخالفين، وروى أن أبا حنيفة كان يتكلم في مسألة من المسائل القياسية، وشخص من أهل المدينة يتسمع، فقال: ما هذه المقايسة، دعوها فإن أول من قاس إبليس.

فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا هذا، وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس رد على الله تعالى أمره، قال الله تعالى:)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ(، وقال تعالى:)فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهم أَجْمَعُون* إلا إبليسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدين(، وقال:)إلا إبليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ(، وقال:)أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً(فاستكبر ورد على الله أمره، وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر، وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى؛ لأنا نرده إلى أصل أمر الله تعالى في الكتاب، أو السنة، أو إجماع الصحابة والتابعين، فلا نخرج من أمر الله تعالى، ويكون العمل على الكتاب والسنة والإجماع، فاتبعنا في أمرنا إليها أمر الله تعالى، قال الله تعالى:)يَا أَيُهَا الَّذِنَ آمَنُوا أطيعوا الله وأطِعوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ(. إلى قوله:)وَالْيَومِ الآخِرِ(، فنحن ندور حول الاتباع، فنعمل بأمر الله تعالى، وإبليس خالف أمر الله تعالى، ورده عليه، فكيف يستويان؟ فقال الرجل: غلطت يا أبا حنيفة، وتُبتُ إلى الله تعالى، فنور الله قلبك كما نورت قلبي[٤٤].

وحدث أبو سفيان الحميري، قال: قال ابن شبرمة: كنت شديد الإزراء على أبي حنيفة، فحضر الموسم، وكنت حاجاً يومئذٍ، فاجتمع عليه قوم يسألون، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا، فجاءه رجل، فقال،: يا أبا حنيفة، قصدتك عن أمر قد أهمني، أو أعجزني.

قال: ما هو؟ قال: لي ولد ليس لي غيره، فإن زوجته طلق، وإن سريته أعتق، وقد عجزت عن هذا، فهل من حيلة؟ فقال له للوقت: اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه هو، ثم زوجها منه، فإن طلقها رجعت مملوكتك، وإن أعتق أعتق ما لا يملك.

قال: فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ، فكففت عن ذكره إلا بخير[٤٥].

---

٤٤ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٤٥ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ومما تقدم نجد أن من أشد مظاهر القدوة في شخصيته تصحيحه لمفاهيم مخالفيه بالحوار الهادئ، ومن ما ورد عنه ما جاء في تاريخ بغداد حدثنا محمد بن فضيل الزاهد قال: سمعت أبا مطيع يقول مات رجل وأوصى إلى أبي حنيفة وهو غائب قال: فقدم أبو حنيفة فارتفع إلى بن شبرمة وادعى الوصية وأقام البينة أن فلانا مات وأوصى إليه فقال: له بن شبرمة يا أبا حنيفة احلف أن شهودك شهدوا بحق قال: ليس علي يمين كنت غائبا قال: ضلت مقاليدك يا أبا حنيفة قال: ضلت مقاليدي ما تقول في أعمى شج فشهد له شاهدان أن فلانا شجه على العمى يمين ان شهوده شهدوا بالحق ولا يرى.

وروى أيضا عن عبد الرزاق قال: شهدت أبا حنيفة في مسجد الخيف فسأله رجل عن شيء فأجابه فقال: رجل إن الحسن يقول كذا وكذا قال أبو حنيفة أخطأ الحسن قال: فجاء رجل مغطى الوجه قد عصب على وجهه فقال: أنت تقول أخطأ الحسن يا بن الزانية ثم مضى فما تغير وجهه ولا تلون ثم قال: إي والله أخطأ الحسن وأصاب بن مسعود.

- ومن مظاهر القدوة عدم اعتقادة أنه يملك الحقيقة المطلقة، وأن غيره من العلماء على خطأ، فقد جاء في ترجمته في تاريخ بغداد عنالحسن بن زياد اللؤلؤي يقول سمعت أبا حنيفة يقول قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا.

جهوده في رد البدع العقدية:

لم يغفل الإمام أبو حنيفة جانب العقيدة، فقد كان له مع المبتدعة صولات وجولات، فله مناظرات معهم تدل على فهم سلفي وبعد عن البدع في الجملة.

روى الخطيب بسنده، عن يحيى بن نصر، قال: كان أبو حنيفة يفضل أبا بكر وعمر، ويحب علياً وعثمان، وكان يؤمن بالأقدار، ولا يتكلم في القدر، وكان يمسح على الخفين، وكان من أعلم الناس في زمانه وأتقاهم.

وعن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، أنه قال: من قال: القرآن مخلوق فهو مبتدع، فلا يقولن أحدٌ بقوله، ولا يصلين أحدٌ خلفه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروى أن ابن المبارك قدم على أبي حنيفة، فقال له أبو حنيفة: ما هذا الذي دب فيكم؟ قال له: رجل يقال له جهم.

قال: وما يقول؟ قال: يقول القرآن مخلوق.

فقال أبو حنيفة:)كَبُرَتْ كَلِمَةً مِنْ أفوَاهِهِمْ إنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً(.

وكان معلى بن منصور الرازي، يقزل: ما تكلم أبو حنيفة، ولا أبو يوسف، ولا زفر، ولا محمد، ولا أحد من أصحابهم في القرآن، وإنما تكلم بشر المريسي، وابن أبي داود[٤٦].

ومن أساليبه في محاربة البدع الاعتقادية وردها تعليمه لتلاميذه السبيل إلى مناظرة المبتدعة، فقد روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده عن أبي يوسف قال سمعت أبا حنيفة يقول إذا كلمت القدري فإنما هو حرفان إما أن يسكت وإما أن يكفر يقال له هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي فإن قال لا فقد كفر وإن قال نعم يقال له أفأراد أن يكون كما علم أو أراد أن يكون بخلاف ما علم فإن قال أراد أن يكون كما علم فقد أقر أنه أراد من المؤمن الإيمان ومن الكافر الكفر وإن قال أراد أن يكون بخلاف ما علم فقد جعل ربه متمنيا متحسرا لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون أو يكون ما علم أنه يكون فإنه متمن متحسر ومن جعل ربه متمنيا متحسرا فهو كافر[٤٧].

وروى الخطيب في تاريخه"، أنه كان بالكوفة رجل يقول: عُثمان بن عفان كان يهودياً. فأتاه أبو حنيفة، فال: أتيتك خاطباً لأبنتك. قال: لمن؟

قال: لرجل شريف، غني من المال، حافظ لكتاب الله، سخي، يقوم الليل في ركعة، كثير البكاء من خوف الله.

قال: في دون هذا مقنع يا أبا حنيفة.قال: إلا أن فيه خصلة.

قال: وما هي؟ قال: يهودي.

قال: سُبحان الله، تأمرني أن أزوج ابنتي من يهودي.

٤٦الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٤٧ ترجمته في المنتظم ١٢٨/٨ – ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: لا تفعل؟ قال: لا.

قال: فالنبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من يهودي!.

قال: أستغفر الله، فإني تائب إلى الله[٤٨].

وعن أبي الوليد الطيالسي قال: قدم الضحاك الشاري الكوفة، فقال لأبي حنيفة: تب.

فقال: مم أتوب؟ فقال: من قولك بتجويز الحكمين.

فقال: أبو حنيفة: تقتلني أو تناظرني.

قال: بل أناظرك.

قال: فإن اختلفنا في شيء مما تناظرنا فيه، فمن بيني وبينك؟ قال: اجعل أنت من شئت.

فقال أبو حنيفة لرجل من أصحاب الضحاك: اقعد بيننا فيما نختلف فيه إن اختلفنا.

ثم قال الضحاك: أترضى بهذا بيني وبينك؟.

قال: نعم.

فقال أبو حنيفة: فأنت قد جوزت التحكيم.

فانقطع الضحاك[٤٩].

وعن أبي يوسف، قال: جاء رجل إلى مسجد الكوفة يوم الجمعة، فدار على الخلق يسألهم عن القرآن، وأبو حنيفة غائب بمكة، فاختلف بمكة، فاختلف الناس في ذلك، والله ما أحسبه إلا شيطاناً تصور في صورة الإنس، حتى انتهى إلى حلقتنا؛ فسألنا عنها، وسأل بعضنا بعضاً، وأمسكنا عن الجواب، وقلنا ليس شيخنا حاضراً، ونكره أن نتقدم بكلام حتى يكون هو المبتدي بالكلام. فلما قدم أبو حنيفة تلقيناه بالقادسية، فسألنا عن الأهل والبلد، فأجبناه، ثم قلنا له بعد ذلك: رضي الله عنك، وقعت مسألة فما قولك فيها؟ فكأنه كان في قلوبنا، وأنكرنا، وظن أنه وقعت مسألة معنتة، وأنا قد تكلمنا فيها بشيءٍ فقال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا. فأمسك ساكتاً ساعة، ثم قال: فما كان جوابكم فيها؟ قُلنا: لم نتكلم فيها بشيءٍ، وخشينا أن نتكلم فيها بشيءٍ فتنكره.

---

٤٨ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٤٩ الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فسرى عنه، وقال: جزاكم الله خيراً، احفظوا عني وصيتي: لا تكلموا فيها ولا تسألوا عنها أبداً، انتهوا إلى أنه كلام الله عز وجل، بلا زيادة حرف واحد، ما أحسب هذه المسألة تنتهي حتى توقع أهل الإسلام في أمر لا يقومون له ولا يقعدون، أعاذنا الله وإياكم من الشيطان الرجيم[٥٠]. إلا أنه رمي بمخالفته مذهب أهل السنة في باب الإيمان، وهو مفصل في شرح الطحاوية وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

تعظيمه للنصوص:

كان أبو حنيفة من أشد المعظمين للنصوص،وقد جعل منهجه ولمن تبعه أن يقدم النص على كل قول، فقد روى نوح الجامع عن أبي حنيفة أنه قال ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال.

وقال وكيع سمعت أبا حنيفة يقول البول في المسجد أحسن من بعض القياس

وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه من وقت ما سمعه.

وقد أورد ابن الجوزي في المنتظم بعض القصص التي قد يفهم منها عدم أخذه بالنصوص، فمن ذلك قوله: سأل ابن المبارك أبا حنيفة عن رفع اليدين في الركوع فقال أبو حنيفة يريد أن يطير فيرفع يديه فقال له ابن المبارك إن كان طار في الأولى فإنه يطير في الثانية فسكت أبو حنيفة[٥١]. وغيرها من القصص التي يرى الإمام رأيا ثم يرد نص أو فتوى صحابي فيرده بقول قد يفهم منه الرفض، ولذا فقد كانت تلك التصرفات تغضب مناظريه كثيرا، ولو أنه بين لهم وجهة نظره دون استثارة الخصم لكسب الجميع، ولكن الكمال عزيز، والله المستعان.

وليعلم أنه بتتبع المسائل التي ذكرها أهل العلم مما خالف فيها أبو حنيفة النصوص، فإن له رحمه الله تعالى عذرا يبينه لطلبته في مجلسه، وأما في مناظراته فلا يذكر حجته كاملة، ولذا نجد حجته مبينة في كتب أتباعه وأنه لا يمكن أن يرد نصا قرآنيا أو عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يوقن ثبوته

٥٠الطبقات السنية في تراجم الحنفية للغزي الترجمة الأولى.

٥١ ترجمته في المنتظم ١٢٨/٨ – ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنه محكم غير منسوخ. ولكن لا يمكن أن يلزم الإمام بالقول بنص لا يعتقد ثبوته، أو يرى نسخه والله أعلم.

ونجد أن ابن أبي شيبة في المصنف عقد كتابا أسماه: كتاب الرد على أبي حنيفة، ثم قال: هذا ما خالف به أبو حنيفة الأثر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥٢].

كما نجد أن البخاري في صحيحه إذا أراد أن يرد على قول لأهل الكوفة وخصوصا أبي حنيفة يقول:" وقال بعض الناس...ثم يذكر قوله ويعقب عليه. قال ابن حجر:" قال بن التين المراد ببعض الناس أبو حنيفة قلت وهذا أول موضع ذكره فيه البخاري بهذه الصيغة ويحتمل أن يريد به أبا حنيفة وغيره من الكوفيين ممن قال بذلك قال بن بطال"[٥٣]. وفي صحيح البخاري سبع عشرة عبارة بلفظ: وقال بعض الناس، فهل في جميعها إشارة إلى أقوال أبي حنيفة رحمه الله. والمسألة ليست مطردة والله أعلم.

وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم، بعض المسائل التي خالف فيها أبو حنيفة صحيح الحديث[٥٤]. وبالنظر في كل مسألة بعين الإنصاف نجد أن لأبي حنيفة عذرا في كل مسألة، وأسباب عدوله عن النص راجعة إلى ما يلي:

١. عدم صحة النقل إليه، لأن لأبي حنيفة شروطا في قبول الحديث زائدة عن شروط المحدثين فهو يشترط ألا يخالف الراوي ما رواه،

- فإذا ثبت خلافه لروايته فإن روايته غير معتبرة لوقوع الشك فيها، إذ كيف يتصور من صحابي أن يخالف حديثا جاء من طريقه وحده، فإما ألا يثبت نقل الحديث عنه أو يعلم أنه منسوخ، وكلاهما مانع من قبوله.
- وكذا إذا خالف الحديث الفرد عمومات الشريعة، ومقاصدها، وقد يطلق عليه: مخالفة الحديث الفرد للقياس الجلي.

٥٢مصنف ابن أبي شيبة ٢٧٧/٧ – ٣٢٥ من الحديث رقم ٣٦٠٤٩ – ٣٦٥٣٤.

٥٣فتح الباري ٣٦٤/٣.

٥٤ ترجمته في المنتظم ١٢٨/٨ – ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وكما إذا كان راوي الحديث غير معروف بالفقه، لأن الفقيه يستطيع أن يعبر عن النص بمعناه الصحيح بخلاف غيره.

٢. أن يصح النقل إليه، ولكن يغلب على ظنه ما يمنع من العمل به بكونه منسوخا أو مخصوصا أو مقيدا.

ويضاف إلى ما سبق أن أبا حنيفة رحمه الله متقدم الوفاة، ولم تكن السنة قد جمعت وصنفت، ولذا فاته الكثير منها، كما أنه لم يكن متخصصا في الحديث، ولذا لا نجد له في الكتب الستة إلا حديثا واحدا في النسائي، وقد كان يذكر الحديث لغرض استنباط الفقه منه لا لغرض التحديث به. وليعلم أن الكوفة والتي هي بلدة أبي حنيفة لم تكن مشتهرة بالحديث بل كانت مليئة بطوائف البدع من الرافضة والمرجئة وغيرهم، ولذا نجد الإمام أبا حنيفة يتشدد في قبول الرواية لانتشار الكذب فيها.

روايات موضوعة في سيرته:

من المعروف أن المشاهير محور للشائعات والأخبار والقصص التي يلوكها الناس في مجالسهم، مما لا يتبينون صحتها. ولشهرة أبي حنيفة رحمه الله فقد ناله نصيب وافر من تلك الأساطير والحكايا والتي لا تثبت، والتنبيه عليها مما توجبه المحبة العظيمة لهذا الرجل والرغبة في تنقيح التاريخ الإسلامي من الحكايات المبنية على الإشاعات الكاذبة.

فمن تلك القصص ما رووا عن أبي حنيفة قال: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل تعلم القرآن فقلت إذا حفظته فما يكون اخره قالوا تجلس في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك. قال قلت فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني قالوا إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك هؤلاء الأحداث والصبيان ثم لم تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارا عليك في عقبك فقلت لا حاجة لي في هذا. ثم قال قلت أتعلم النحو فقلت إذا حفظت النحو والعربية ما يكون آخر أمري قالوا تقعد معلما فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة قلت وهذا لا عاقبة له قلت فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني قالوا تمدح هذا فيهب لك أو يخلع عليك وإن حرمك هجوته قلت لا حاجة فيه قلت فإن نظرت في الكلام ما يكون آخر أمره قالوا لا يسلم من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظر في الكلام من مشنعات الكلام فيرمى بالزندقة فيقتل أو يسلم مذموما. قال قلت فإن تعلمت الفقه قالوا تسأل وتفتي الناس وتطلب للقضاء وإن كنت شابا قلت ليس في العلوم شيء أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته

وقد ردها الذهبي من وجوه متعددة، ففي سير أعلام النبلاء: من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه، يا سبحان الله وهل محل أفضل من المسجد وهل نشر لعلم يقارب تعليم القرآن كلا والله وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب وأحسب هذه الحكاية موضوعة ففي إسنادها من ليس بثقة.

وأيضا فإن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مئة وبعدها ولم يكن إذ ذاك يسمع الحديث الصبيان هذا اصطلاح وجد بعد ثلاث مئة سنة بل كان يطلبه كبار العلماء بل لم يكن للفقهاء علم بعد القرآن سواه ولا كانت قد دونت كتب الفقه أصلا. ثم قال: وقاتل الله من وضع هذه الخرافة وهل كان في ذلك الوقت وجد علم الكلام.

ومن القصص التي تروى أن أبا حنيفة قال: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار إلي فيه بالأصابع وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان فجائتني امرأة يوما فقالت لي رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها فلم أدر ما أقول فأمرتها أن تسأل حمادا ثم ترجع تخبرني فسألته فقال يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلت للآزواج فرجعت فأخبرتني فقلت لا حاجة لي في الكلام وأخذت نعلي فجلست إلى حماد فكنت أسمع مسائله فأحفظ قوله ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطى ء أصحابه فقال لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة فصحبته عشر سنين ثم نازعتني نفسي الطلب للرئاسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي فخرجت يوما بالعشي وعزمي أن أفعل فلما رأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجاءه تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره فأمرني أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منه فكنت أجيب وأكتب جوابي فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحوا من ستين مسألة فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الذهبي: وهذه أيضا الله أعلم بصحتها وما علمنا أن الكلام في ذلك الوقت كان له وجود والله أعلم.

وذكروا أن أبا حنيفة رحمه الله صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة. وروى بشر بن الوليد عن القاضي أبي يوسف قال بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلا يقول لآخر هذا أبو حنيفة لا ينام الليل فقال أبو حنفية والله لا يتحدث عني بما لم أفعل فكان يحي الليل صلاة وتضرعا ودعاء.

ومثل هذه الروايات عن الأئمة موجودة بكثرة، والتشكيك في ثبوتها له وجه، لاشتهار النهي عن إحياء الليل كله، وأبو حنيفة رحمه الله قد ملأ نهاره بالتعليم مع معالجة تجارته، فيبعد أن يواصل الليل كله. ولكن عبادة أبي حنيفة وطول قراءته أمر لا ينكر، بل هو مشهور عنه رحمه الله. فقد روي من وجهين أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة.

علاقته بالحكام:

ابتلي أبو حنيفة بالسلطة السياسية في وقته فقد جربوا معه فتنة المال وفتنة السجن فلم يهتز أو يتأثر، قال عبد الله بن المبارك: ما رأيت أحداً أورع من أبي حنيفة وقد جرب بالسياط والأموال.

وقد كان لأبي حنيفة مصادمات مع سلطة بني أمية ثم مع بني العباس، فقد كان يرفض الأوامر الخاصة كتوليته القضاء، وقد روي من غير وجه أن الإمام أبا حنيفة ضرب غير مرة على أن يلي القضاء فلم يجب. وسبب هذا الرفض أنه لا يريد إضفاء الشرعية على الحكم الأموي ثم العباسي المبتدئ بالدماء والقتل والظلم. فقد كان ابن هبيرة قد أراده على القضاء في الكوفة أيام مروان الجعدي فأبى وضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة وأصر على الإمتناع فخلى سبيله وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك ترحم عليه انتهى[٥٥].

وقال إسحاق بن إبراهيم الزهري عن بشر بن الوليد قال طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليلين فأبى وحلف إني لا أفعل فقال الربيع الحاجب ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني فأمر به إلى السجن فمات فيه ببغداد.

---

٥٥ شذرات الذهب ١/٢٢٧ – ٢٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن مغيث بن بديل قال دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع فقال أترغب عما نحن فيه فقال لا أصلح قال كذبت قال فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح فإن كنت كاذبا فلا أصلح وإن كنت صادقا فقد أخبرتكم أني لا أصلح فحبسه وروى نحوها إسماعيل بن أبي أوليس عن الربيع الحاجب وفيها قال أبو حنيفة والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك قال المنصور كذبت بل تصلح فقال كيف يحل أن تولي من يكذب.

وقيل إن أبا حنيفة ولي له فقضى قضية واحدة وبقي يومين ثم اشتكى ستة أيام وتوفي.

وقال الفقيه أبو عبد الله الصيمري لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن.

وفاة أبي حنيفة:

قال الذهبي: توفي شهيدا مسقيا في سنة خمسين ومئة وله سبعون سنة[٥٦].

وقيل إنما حبس لأنه تكلم في أيام خروج إبراهيم على المنصور فحبس ثم مات في السجن [٥٧].

وقال ابن العماد شذرات الذهب: وقد روى أن المنصور سقاه السم فمات شهيدا رحمه الله سمه لقيامه مع إبراهيم قاله في العبر وقال ابن الأهدل نقله المنصور عن الكوفة إلى بغداد ليوليه القضاء فأبى فخلف عليه ليفعلن فخلف أن لا يفعل وقال أمير المؤمنين أقدر مني على الكفارة فأمر به إلى الحبس وقيل أنه ضربه وقيل سقاه سما لقيامه مع إبراهيم الشبه بن عبد الله بن حسن فمات شهيدا وقيل أنه أقام في القضاء يومين ثم اشتكى ستة أيام ومات وكان ابن هبيرة قد أراده على القضاء في الكوفة أيام مروان الجعدي فأبى وضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة وأصر على الإمتناع فخلى سبيله وكان الإمام أحمد إذا ذكر ذلك ترحم عليه انتهى[٥٨].

---

٥٦ سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٠-٤٠٣.

٥٧ ترجمته في المنتظم ٨/١٢٨ – ١٤٤.

٥٨ شذرات الذهب ١/٢٢٧ – ٢٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد عمل له جهلة محبيه ما لا يرضاه الله تعالى، بل كان الإمام أبو حنيفة من أشد المنكرين له، فقد بنوا على قبره قبة ومسجدا، وهو مسجد الإمام الأعظم في الأعظمية ببغداد.قال ابن الجوزي في المنتظم وقرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل كان قبر أبي حنيفة عليه خربشة رأيته وأنا صبي قبل دخول الغز بغداد ثم عمل عليه بعض أمراء التركمان سقفا ثم قدم شرف الملك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فأحدث هذه القبة وكان قد وضع أساس مسجد بين يدي ضريح أبي حنيفة فهدم شرف الملك أبنية ذلك وما يحيط بالقبر وحفروا أساسات وكانوا يطلبون الأرض الصلبة فأخرجوا أربعمائة صن من عظام الموتى.

قال ابن عقيل فقلت ما يدريكم لعله قد خرجت عظامه في هذه العظام وبقيت القبة فارغة من مقصود بانيها.

وأنبأنا علي بن عبيدالله عن أبي الحسين المهتدي قال: لا يصح أن قبر أبو حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه القبة. وكان الحاج يرِدُون فيطوفون حول المقبرة يزورون أبا حنيفة لا يعينون موضعا[٥٩].

وهذا يدل على أن تلك البدع في تعظيم قبره قد حدثت في قرون متأخرة، وقال ابن خلكان: وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبة، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية، ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها،...، وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وقد تقدم في ترجمة ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهداً على قبر الإمام أبي حنيفة، وكذلك وجدته في بعض التواريخ، وقد غاب عني الآن من أين نقلته، ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى مشهداً والقبة أبو سعد المذكور، والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور، وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم، فتسبت العمارة إليه بهذه الطريق، ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان، أبو سعد كان مستوفياً في أيامه، ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه، وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين، والله أعلم٦٠. وهذا كله منكر عظيم، ويا ويل من بنى المسجد والقبة على قبرٍ، لأنه معرض للعن والعياذ بالله. فقد

٥٩المنتظم ١٢٨/٨ – ١٤٤.

٦٠وفيات الأعيان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثبت في (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله).

ولهما عنها قالت: (لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال ـ وهو كذلك ـ: ((لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، متفق عليه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك). ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد).

وإزالة البناء على القبر متحتم شرعا، لما في صحيح مسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

وأخيرا...

إننا بحاجة إلى القراءة الواعية لسير أعلامنا الأفذاذ ودراسة أسباب النجاح للعظماء، لنحذو حذوهم ونستنير بدربهم، سائلا الله تعالى للجميع التوفيق في القول والعمل.